كان محفوظا في الصدور ونسخه كانت بأيدي العامة والخاصة لعدم وجود رأسة دينية عندنا ولانتشار العلوم والمعارف بين المسلمين في تلك الازمنة بينما كان الناس غيرهم في بحار الجهل غارقين ولذلك كان عند المسلمين علم الفقه العالي (في الحديث) الذي لم يعرف بين الأوروبيين وغيرهم إلا اليوم والذي أصبحوا يفخرون به علينا ونسوا ماضيهم المظلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وانا في هذا الفصل لا أريد أن استشهد بتلك البشائر التي لا يسلمون بها الآن ولا بالبشائر التي ليست صريحة بل لا أستشهد إلا بما هو واضح جلي من كتبهم الحالية :ـ

(يتلى)

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

في

﴿ مؤتمر لكهنوء سنة ١٩١١ ﴾

وقام بعد ذلك القسيس (ك . س) المبشر في (مدراس) فتلا تقريرا عن مشايخ الطرق والدراويش في أفريقية وقدم له مقدمة تاريخية اقتبسها من المؤلفات الفرنسية . والمعلومات التي تضمنها هذا التقرير هي ملخص كتاب ألفه هذا القسيس اسمه (الطرق الصوفية في الاسلام)

ثم قال : ان الاسلام أخذ ينتشر في الحبشة وسيصبح شمال الحبشة عما قريب بلدا اسلاميا . أما «منبسة» وشرقي أفريقية البريطانية فلا أثر فيهما للدراويش المبشرين وليس هناك نجاح للاسلام في شمال نجيريه حتى الايام الاخيرة ، وذلك لما كان يلقاه هذا الدين من مقاومة القبائل الوثنية له . الا أن الاستعمار الانكليزي قد وطد الامن العام ومهد السبيل لسياحة المسلمين . وانتشار الاسلام على يد التجار الهوسيين . وفي نجيريه

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٦٠٠

مسلمون تربوا تربية اسلامية وهم على مذهب مالك بن أنس وقد درسوا تفسير البيضاوي وصحيح البخاري وكتب الغزالي .

والاسلام في جنوب هذه البلاد قد انتشر انتشارا سريعا بفضل الهوسيين أيضا وقسم من هؤلاء ينتمي الى الطريقة التيجانية منذ ٨٠ سنة . وهذه الطريقة قد اتسع نطاقها حتى جهة « البيدة » ومشايخها هم الذين شدوا أزر أمير سكوتو أثناء اقتتاله مع الانكليز . وعلى كل فالظواهر تدل على تقدم الاسلام بانتظام في مقاطعة (سيرا ليونة) وهو ينتشر أيضا في (نياسالند) منذ ٨٢ سنة بفضل عرب زنجبار والبلاد الممتدة من بحيرة (نياسة) حتى الشاطئ الافريقي الشرقي لا تكاد تخلو بقعة فيها من مسجد أو رجل يدعو الى الاسلام وبالعكس من ذلك مقاطعة (رودزية) فان الاسلام لا يكاد يكون له فيها أثر .

وقام بعده الاستاذ (مينهف) فذكر بعض دواعي انتشار الاسلام مثل اقطاع تجارة الرقيق وانتشار الامن ونفوذ المسلمين من الوجهة الاقتصادية والتجارية وقاله : « أن بين الاوروبي والافريقي هوة تفرق بينهما . والمسلمون قد تمكنوا من ازالة الهاوية التي كانت بينهم وبين الزنوج بان جعلوا لهم الى هؤلاء سلما . فأهالي الساحل الشرقي في أفريقية والهوسيون في السودان الغربي هم الالة العاملة لانتشار مدنية الاسلام في أفريقية بلغة البلاد التي هي مزيج من العربية والبربرية والافرنجية (لانغوافرانكا) وهذه اللغة هي واسطة التعارف في الاقاليم الكبرى »

وشدد النكير على القائلين إن الاسلام أكثر موافقة للشعوب الافريقية وقال ان من شأن هذه الفكرة أن تحبب المسلم الى الاوربيين وتحملهم على معاملته مع أساس هذه الفكرة واه الا اذا كان معناه أن الاسلام يبيح تعدد الزوجات المنتشر في أفريقية . وقد أظهرت التجارب الكثيرة في الاستعمار الاوربي أن الاوربيين لا يختلفون في شيء عن الافريقيين من الوجهة العملية

أما ان الاسلام في مستوى أرقى من مستوى الشعوب الافريقية فذلك لان هؤلاء يعيشون على طريقة القرون القديمة ومدنية الاسلام هي بدرجة مدنية القرون المتوسطة ولذلك يسهل على الافريقيين اقتباسها . وأما مدنية أوربة فهي ارقى من المدنيتين الافريقية والاسلامية ولذلك يصعب على الافريقي الوصول اليها والاحتكاك

والاوربيون لم يثبتوا في نشر مدنيتهم في الافريقيين الا في الجنوب ولذلك صح القيام بهذا الامر واجبا على المبشرين كيلا يعلوا الاسلام على النصرانية . و

صار من الواجب على إرساليات التبشير أن تحتك بالمسلمين وتتسلح بالمعدات الكافية لقتالهم وأن لا تخشى ذلك كما كانت تفعل حتى الآن . وينبغي لهم أن لا تكون أعمالهم لاهوتية محضة بل يجب ان يطرقوا أبواب الطب والصناعة وكل الاعمال التي يتفوق فيها الاوربي على الشرقي

الانقلابات السياسية :

ومن المسائل التي عقد مؤتمر لكنهز للبحث فيها الانقلابات السياسية في ممالك الاسلام فابتدأوا بالبلاد العثمانية وتقدمت ثلاثة تقارير عن الحالة السياسية في البلاد العثمانية الاول من الاستاذ (استوورد كروفارد) عن (الانقلابات العثمانية) والثاني من القسيس (بنغ) عن (الانقلابات السياسية في جزيرة العرب) والثالث من القسيس (تروبريدج) (عن النظام الجديد والنظام القديم في السلطنة العثمانية) مع ملاحظة موقف ارساليات التبشير في كل ذلك

تساءل استوورد كروفارد في أول تقريره عن الموقف الذي يجب ان تكون فيه ارساليات التبشير المسيحية تجاه قوات الاسلام الجديدة بعد الانقلابات العثمانية ثم قال ان الامة العثمانية بحصولها على بعض الحقوق الوطنية الصرفة قد أخذت تتدرج في مدارج نهضة عظيمة وتظهر احساسا وطنيا جديدا أمام المسئولية الديموقراطية . وهذا الامر لا يقتصر على الرعايا المسلمين بل يشترك معهم فيه العثمانيون من غير المسلمين وهؤلاء قد بدأوا يتحولون عن فكرة الاستعانة بالدول الاجنبية وحدث بين المسلمين والنصارى تقرب محسوس بالرغم من حدوث بعض حوادث مزعجة

الا أن الاسلام قد ظهر في قالب جديد وذلك لان الانقلاب الذي احدثته الامة العثمانية انما كان اسلاميا محضا بل ان فكرة الدفاع عن الاسلام هي التي أعانت على حدوث الانقلاب

وعلى هذا فواجب المبشرين مزدوج أمام هذا المزيج الغريب المتكون من الرغبة في الارتقاء والتمسك بالتقهقر (!) وبهذا الواجب المزدوج يمكن لهم أن يعيقوا مركزهم ازاء المسلمين العثمانيين . أما الواجب الاول فهو اظهار المجاملة للقوة الجديدة التي انتبهت في العثمانيين بعد سباتها بالرغم من أن الشعور الاسلامي الحقيقي يعرقل سيرها (!)

وبهذه المجاملة يمكن تنشيط المسلمين لاقتباس الاوضاع الجديدة وترقيتها على وجه يشبه الاوضاع التي تباهي النصرانية بها . ولم يسبق لنا أن رأينا الاسلام ليّنا وملائما

الى حد تقدير المبادئ النصرانية قدرها . وهذه فرصة ثمينة ينبغي لنا انتهازها للتحكك بالعالم الاسلامي وهدايته الى الانجيل الذي هو أرقى وحي اهداه الشرق الغرب (!؟) وماعلينا الا أن نستصرخ المسلمين ليستردوا اليهم بضاعتهم الطيبة فيطبقوا مبادئها على أعمالهم الضرورية من اجتماعية وقومية ويفسروها بأنفسهم على ما يوافق هواهم . ووقتنا أضيق من أن يتسع للطعن في عقائدهم . واذا ثبتنا على تلك الطريقة الفاسدة في إظهار المسيحية بمظهرها أيام الحروب الصليبية فانا نكون قد خنا المسيح الفاتح !

وأما الواجب الثاني فهو الصبر الذي يعرفه من عرف حكمة الانجيل في النمو التدريجي وهي تبتدئ بالعشب ثم بالسنبلة ثم يتبعها انتظار طويل ربما ينضج الحب . الا أن النمو الاخلاقي بطيء خصوصاً اذا كان متعلقا بأمة من الامم

ثم قال : ان المسلمين يقتبسون من حيث لايشعرون شطرا من المدنية النصرانية ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعي ، وما دامت الشعوب الاسلامية تتدرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالانجيل فان الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها (؟!)

(وقد علقت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية على هذا القول بأنها تكتفي في بيان أهمية مايقوله استوردكر وقارد بتذكير القراء بالجملة التي اختتمها جمعية الطلاب المتطوعين للتبشير شعارا لها منذ سنة ١٩٠٥ وهي « تصير العالم قاطبة في هذا العصر » فان في هذا الشعار ما يدل على أن أقوال المبشرين تتدرج نحو الحقيقة !)

أما تقرير القسيس (يتغ) عن الانقلابات السياسية في جزيرة العرب فلم تذكر عنه مجلة العالم الاسلامي الفرنسية الا مايتعلق بحالة المبشرين ، ومما قاله صاحب التقرير ان اليمن وسائر بلاد العرب يوجد فيها دائما متعصبون يرون أن في المساواة بين المسلمين والنصارى ضرراً وقضاء على الاسلام ، ولكن علماء الاسلام المتنورين يقولون ان الشريعة الاسلامية تأمر بالمساواة ثم هم من الوجهة الشخصية لايمكنهم الموافقة على أن المسيحي يساوي نصف المسلم وان كان المسيحيون مساوين للمسلمين في الحقوق السياسية والشرعية

وهو يرجو ان يكون انشاء الطرق والسكك الحديدية وتشييد المدارس أبواباً ومنافذ بين المسلمين والنصرانية

وختم تقريره بقوله : « انه قد أزف الوقت لارتقاء العالم ، وسيدخل الاسلام

في شكل جديد من الحياة والعقيدة ولكن هذا الاسلام الجديد سيزوي في النهاية ويتلاشى بالنصرانية » (١)

وبعد أن فرغ الخطيبان السابقان من تلاوة تقريرهما قام بعدهما القسيس (روبرت بدج) فألقى على مسامع زملائه تقريره عن النظامين الجديد والقديم في السلطنة العثمانية . فقال . المبشرين كانوا منذ ابتداء أعمالهم التبشيرية قبل ٨٠ سنة مظهراً لتسامح الحكومة العثمانية كما هو شأنها مع الرعايا الاجانب الذين تحميهم الامتيازات الاجنبية أما المتنصرون الوطنيون فهم على نقيض ذلك لانهم كانوا دائما عرضة للسجن والطرد كما ان المبشرين من وجه آخر كانوا يلاقون الصعاب والعقاب في سبيل تشييد المدارس والكنائس ونشر المطبوعات

ثم أشار بعد ذلك الى ملخص البند العاشر من القانون الاساسي الذي يحظر خرق حرية الافراد أو القاء القبض على أي شخص ومعاقبته بلا مسوغ منصوص عليه في الاحكام الشرعية الاسلامية والنظاميات القانونية . ثم قال . ومع ذلك يتعذر الوقوف على حقيقة خطة الحكومة بالاستناد على أقوال الكثيرين التي تلقى على عواهنها ، بل ان ذلك يتطلب التنقيب والاختبار الشخصي ، ولذلك قسم الخطيب الكلام في أعمال المبشرين بالنسبة الى موضعها ليسهل الوقوف على موقف الحكومة ازاء كل منها فقال عن الاعمال المدرسية إن في استطاعة المسلمين التردد الى مدارس وكليات التبشير وبين جدران الكلية البروتستانية في بيروت ١٠٤ من المسلمين وفي كلية الآستانة ٥٠ وفي كلية المبشرين في كديك باشا في الاستانة أيضا ٨٠ ومنذ بضع سنين صدر أمر خفي بجواز التردد على الكلية الاولى والثانية ، وانتقل الى قسم التأليف فقال . كان طبع الكتب المقدسة مباحا منذ مدة طويلة من لدن الحكومة العثمانية الا أن مهمة بائعي الكتب المتنقلين كانت محفوفة بكل أنواع الصعوبات . وأصبح الآن بيع الكتب المقدسة مباحا بسبب حرية النشر التي أعقبت الدستور فبيع في السنة الماضية للمسلمين مايزيد على ٩٠٠٠ نسخة من هذه الكتب . وليس هناك صعوبات تقوم في سبيل بيع الكتب المختصة بانتشار التبشير ، ولكن يجب على المؤلفين عدم الخوض في غمار المناقشات الدينية لان الحكومة الحاضرة لا تسمح البتة بنشر الكتب التي على شاكلة مؤلفات فندر .

---

(١) من الغريب ان يقول هذا القول من يعرف ما هي النصرانية ويعرف شيئا عن الدين الاسلامي الذي هو دين المستقبل لا محالة لانه هو الدين المناسب لحالة البشر في رقيهم الحالي والمستقبل

وقال عن الاعمال الطبية والخيرية انها منتشرة جداً في البلاد العثمانية ، ومما يجدر ذكره ان القسيس (بيت) التابع لارسالية التبشير في الاستانة عين رئيسا للجنة الاسعاف الخيرية التي تأسست تحت رعاية السلطان عقب مذابح أطنه ، والتبشير الديني جار بلا صعوبة في المستشفيات التي يدير أعمالها المبشرون

ثم قال عن الاعمال النسائية ان الحكومة سمحت عقب اعلان القانون الاساسي لخمس فتيات عثمانيات مسلمات ان يتعلمن في كلية البنات الاميركية ليتهيأن الى ادارة أمور مدارس الحكومة للبنات كما أن عدداً قليلا من البنات المسلمات في الولايات يتردد الى مدارس ارساليات التبشير . أما الحكومة فتظهر الاحتفاظ التام بحالة تربية المرأة المسلمة وتحظر على النساء التردد الى المجتمعات العمومية

وقال عن أعمال التنصير ان الحكومة العثمانية تتداخل ولو من طرف خفي عند مايتصل بها خبر اعتناق مسلم الدين المسيحي فتزجه في السجن لاي سبب كان أو تبعده سرا عن وطنه جزاء ارتداده . وكان الاعدام من قبل عقابا للارتداد عن الاسلام ولم يزل المرتد الى أيامنا هذه عرضة للعذاب الاليم . ومما لامرية فيه ان الموظفين المتنورين يمجون هذه الاعمال . أما التبشير الانجيلي في الشوارع والاسواق فمحظور. وقد دخل التسامح في شكل جديد عقيب قبول اندماج المسيحيين في الجندية لان ارتداد المسلم عن دينه كان يعتبر خيانة ووسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية . أما الآن فأصبحت مسألة اعتناق الدين المسيحي دينية محضة

ثم قال صاحب التقرير انه يتعذر ادراك مايخبئه لنا المستقبل لان بوادر الاحوال تدلنا على ان الحكومة العثمانية لاترغب في منح الحرية الدينية الحقيقية لان الدين الاسلامي هو دين الحكومة الرسمي ولم يخرج القانون الاساسي الى حيز الفعل الا بقدر انطباقه على الشرائع والتقاليد الاسلامية . ومهما يكن الامر فان ارساليات التبشير لاتشكو ضيما بعد أن أسفر التحقيق الذي أجري في ارساليات التبشير في الاستانة وسلانيك ووان ومرعش وعينتاب عن ان خطة الحكومة الحاضرة موجبة لنهض همة المبشرين

وبعد ان انتهى البحث في احوال السلطنة العثمانية انتقل المؤتمر الى البحث في الانقلابات السياسية في فارس . فألقى القسيس (اسلستين) الذي مضى عليه ٢٣ سنة في هذه البلاد تقريره في هذا الموضوع فوصف الحالة الحاضرة السياسية والحركة الاجتماعية في فارس . وقال ان عصر الحرية الدينية سيزيد في عدد البابيين أو البهائيين. وانه يوجد ألوف من الفارسيين ينبذون الاسلام ويندمجون في بعض المذاهب أو يظلون

بلا عقيدة دينية . فظهر على أثر ذلك توتر في العقائد الدينية الاسلامية في كل اقاليم فارس، وهذه الامور حملت صاحب التقرير على القول بأن الاسلام يخطط في البلاد الفارسية (!) وقال : ان أعمال التبشير في هذه البلاد توجب مزيد الحيطة والتستر نظراً للاحوال الخاصة التي تمتاز بها فارس وهو يشير على المبشرين ببذل قصارى الجهد للاقناع واستجلاب القلوب ، الا انه يحذرهم من السب في الاسلام أو ذكر انحطاطه من حيث أصوله الدينية خصوصاً وان موقف الفارسيين تجاه المبشرين هو موقف حسن في الغالب اذ ان كثيرين منهم يرغبون في تربية أولادهم في مدارس المبشرين مع علمهم انهم يتعلمون الانجيل . لكن هذه الرغبة لا تدل على انهم يودون اعتناق النصرانية بل ان تشوفهم الى التعليم صادر عن علمهم أنه هو الدواء الناجع لاتقاء الصعاب التي تخبط فيها فارس الآن . فهم لا يرغبون في النصرانية بل جل ما يتوخونه هو اقتباس مبادئ الحضارة العصرية

وبعد أن فرغ المؤتمر من الخوض في الانقلابات في فارس انتقل الى اقليم آسية الوسطى التي لم تصل اليها ارساليات التبشير مثل افغانستان والتركستان الصينية والاقاليم الروسية الاسيوية فتلى تقرير الكولونل (ج ونجت) الذي يشير الى بعض الاعمال التي يوشربها في آسية الوسطى . فاتضح منه أنه تعذر على المبشرين الانكليز اجتياز الحدود الهندية للدخول في آسية الوسطى بسبب العراقيل التي توجدها الحكومة الانكليزية منعا لهم من اجتياز هذه الحدود . ولكن سبقها مبشرون آخرون الى هذه البلاد اذ هبطت ارسالية تبشير اسوجية بروتستانية مدينة (كشغر) و(يركند) وتأسست ارسالية تبشير مجرية في (لح) وعريج مبشرون بلجيكيون كاثوليك على (خوجله) وتوجد ارسالية تبشير طبية دانمركية في (حوبي مردان) تقوم بها النساء ووظيفتها التبشير بين النساء المسلمات وهي على أهبة الهبوط الى (كابل)

ومما لا شك فيه أن النساء اللواتي يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة لان المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات ولا يضمرون لهن سوءا ولكن بتور أعمال المبشرين في هذه البلاد صعوبات ويمكننا أن نعرف موقف حكومة الافغان الرسمي بمراجعتنا نبذة من خطاب ألقاه أمير الافغان على مسامع الطلبة المسلمين في مدرسة لاهور اذ قال لهم « لا خوف عليكم من أن الدين المسيحي أو أي دين آخر ينتزع منكم العقيدة الاسلامية بعد اقتباسكم التعليم الغربي ولكن ينبغي لكم أن تقوموا قبل كل

شيء باقتباس العقيدة الاسلامية وأنتم في مقتبل عمركم » . واتضح بعد ذلك ان المبشر (هو غبرغ) التابع لارسالية التبشير الاسوجية الذي أخذ يبشر بين المسلمين في التركستان الروسية اضطر أن يفر من مقاومة الحكومة الروسية له الى (كشغر) حيث لقي مزيد التسامح من الحكومة الصينية

وقرئ بعد ذلك تقرير المس (جاني فن ماير) المبشرة . في تفليس وهو يحوي أمورا تاريخية تتعلق بالتبشير بين المسلمين القاطنين في روسية . والقسم الاول من هذا التقرير يتعلق بتاريخ تنصير تتر قازان والى المساعي التي بذلها المبشر الارثوذكسي (ايلمنسكي) لتنصير المسلمين وجعلهم روسي النزعة وقد لاقى مالاقاه من المقاومة في هذه السبيل نظراً لشدة نفوذ التتر وتسيطرهم على الشعوب غير النصرانية في روسية ، وتقول صاحبة التقرير انه مهما كانت درجة مساعي المبشرين الارثوذكس فانها لاتعادل ما يبذله المبشرون البروتستانت في هذا السبيل . وقد تأسست جمعية التبشير الارثوذكسي سنة ١٨٧٠ وهي منتشرة في أكثر الاقاليم الروسية وسيبرية ومركزها في (موسكو) وأنفقت حتى الآن مايربو على خمسة ملايين ريالا وهي تدير أعمال ٧٠٠ مدرسة يتعلم فيها ١٩٠٠٠ تلميذ وتنصر بواسطتها ٤٤ مسلما سنة ١٩٠٨ وبلغ ما نصرته للآن ١٦٧٠ مسلما ، وأخذ التبشير ينتشر في ولاية (توبلسك) بواسطة جمعية التبشير المركزية المخالفة للاسلام وهي جمعية أرثوذكسية ، وتوجد جمعيات تبشير أرثوذكسية كثيرة في ولاية (فولغا) تتضافر جميعها على شد ازر التبشير وتؤسس المدارس لتعليم أولاد التتر والشوقاش ، قالت صاحبة التقرير ولكن الاعمال التي يقوم بها المبشرون الروس بين التتر عقيمة لان التتر متعصبون متمسكون بدينهم وهم أنفسهم مبشرون نشيطون ، ثم أشارت الى جمعية التبشير للكنيسة الروسية في القريم وانها تقوم بعمل مزدوج فتعلم المبشرين في مدارس تعلم فيها اللغة التركية والعربية ولها أيضا مبشرين يتنقلون من محل الى آخر فينصر على يده كل سنة أربعة أو خمسة من المسلمين وللمبشرين الروس ارساليات تبشير أخرى منتشرة في الولايات الروسية الاوربية وبعضها طيفية ، ولكن مهمة المبشرين تزداد صعوبة حيثما وجدت قبائل الكركز والباخير والتركمان قريبة من التتر لان هذه القبائل تقع تحت نفوذها ، وهناك يستفحل النزاع بين المبشرين المسيحيين والتتر .

وانتقلت بعد ذلك صاحبة التقرير الى ذكر الاعمال التي تقوم بها ارساليات التبشير البروتستانية فاعترفت بعدم اهتمام الكنائس البروتستانية الروسية في تبشير العشرين

مليونا من المسلمين والخمسة الملايين من الوثنيين القاطنين في روسية لانها لم تقم للآن بعمل يذكر ، وقالت ان كنائس بروتستانية أخرى قامت بهذه المهمة ولها مبشرون في تركستان وبين قبائل (الكركز) واهم ارساليات التبشير التي تسعى لتنصير المسلمين في كل اقطار روسية هي ارسالية التبشير الأسوجية التي لها مركز عام في تفليس وفروع للتبشير في بخارى وأورنبورغ وسمرقند و (كشغر) . وبما أن الحكومة الروسية لم تسمح لهذه الارساليات بالتعليم ولا بالتطبيب فهي تكتفي بتوزيع الكتب المقدسة باللسانين الفارسي والتركي وبلغ عدد الذين تنصروا بواسطتها ٤٠ شخصا ، اما ارساليات التبشير في بخارى وسمرقند فاضطرت الى توقيف أعمالها عقيب الاضطرابات التي طرأت ، وهذه الارساليات تجد صعوبات شديدة في (بخكيرس) ولم تحصل على نتائج صريحة وتقوم جمعية التوراة الانكليزية والاجنبية بنشر نسخ الانجيل في كل البلاد الروسية ولها مركزان واحد لاوربة روسية وتركستان والآخر لسيبرية وهما يقومان بنشر الاناجيل في عشر لغات اسلامية ويظهر ان عدد الاناجيل التي تباع للمسلمين ازداد عن ذي قبل وختمت صاحبة التقرير كلامها بالاشارة الى بعض ارساليات تبشير صغيرة منتشرة في الاقاليم التي يقطنها المسلمون .

تلى بعد تقرير المس (جاني فن ماير) الطويل ثلاثة تقارير أولها للقسيس (ويلسن) عن أحوال الهند والثاني للقسيس (جون تكل) عن تقدم الاسلام في الهند والثالث للقسيس (وتبرخت) عن حركات الاصلاح في الهند

وقد جاء في التقرير الاول للقسيس (ويلسن) أن الحركة العصرية التي تمخض بها الارجاء الهندية لم تأت بثمرة للآن ولم تظهر الا بشكل أفكار وأميال ونزعات . ولكي يتسنى لنا الوقوف على مايكون من تأثير هذه الحركة في أعمال التنصير يجدر بنا الانتظار ريثما تحقق ما رب حاملي لواء الاصلاح في الهند . وليس هناك داع للاستغراب أو للفشل اذا أظهر المسلمون عدم اقبال على اقتباس المبادئ الانجيلية لان الاهتمام بالحياة العقلية السياسية الحديثة يدعو الى تعليق الآمال بالنهضة التي ترفع شأن الاسلام فلا يبقى ثمة في نفوس المسلمين موضع للتفكير في أمور أخرى . لكن صاحب التقرير لا يشك في ان التربية الغربية هي من قبيل قوة تحل بها عرى الروابط الاسلامية . وقد قال بعد ذلك : « ان مطالعة التاريخ المجرد من المحاباة والتعرض تميط اللثام عن حقيقة مصادر الاسلام لان العقل الذي اعتاد التنقيب العلمي لا يقبل الاعتقاد عفواً وبلا روية بالعقائد التقليدية ! » وهو يعتقد أن انتشار التعليم يساعد على تبديد

الخرافات القديمة بخصوص المسيحية . واختتم القسيس ويلسن تقريره معرباً عن أمله الوطيد بالحصول على نتائج حسنة في المستقبل

وتلاه القسيس (جون تكل) فاستهل تقريره بالقاء نبذة في تاريخ انتشار الاسلام في الاقاليم الهندية وقال : ان الاسلام آخذ في الازدياد وان المراقبين التي تلقى في سبيل انتشاره تكاد تكون في حكم العدم . وأشار الى مقاطعة البنغال فقال ان عدد المسلمين فيها بلغ سنة ١٨٧١ ستة عشر مليوناً ونصف مليون وكان الوثنيون ١٧ مليوناً

ثم اتضح من احصاء سنة ١٩٠١ ان المسلمين في هذه المقاطعة صاروا ١٩ مليوناً ونصف مليون وأن الوثنيين صاروا ١٨ مليونا . ثم تساءل عن أسباب نمو المسلمين وأجاب أنه لا يمكن أن ينسب هذا النمو الى تعدد الزوجات لان ٢٩ في المائة فقط من مسلمي البنغال متزوجون بأكثر من واحدة ، كما أنه لا يمكن القول بأن هذه الاسباب ناشئة في أكثر الاوقات عن التشبث بصحة العقيدة الاسلامية لانه اتضح له من التحقيق الذي قام به للوقوف على الاسباب التي حملت ٤٠ شخصاً على اعتناق الدين الاسلامي في أوقات متفاوتة ان ٢٣ منهم اعتنقوا الاسلام لاسباب ناشئة عن العواطف وسبعة منهم لارتباك في أحوالهم والباقون أسلموا لاسباب مختلفة . وقد أسفر التحقيق الذي قام به مبشرون آخرون عن نتيجة واحدة من حيث نسبة الاسباب الى مسبباتها . وقال ان الوقوف على أسباب نمو الاسلام يمهد الحصول على وسائل توقيف تياره ولذلك ذكر لاعضاء المؤتمر بعض اقتراحات تتعلق بالاحتياطات التي يجدر بالمبشرين اتخاذها وأهمها ضرورة زيادة القوات التبشيرية الاخصائية وأيد اقتراحه بقوله ان ثلث مسلمي الهند ـ الذين بلغوا في احصاء سنة ١٩٠١ اثنين وستين مليوناً ونصفاً ـ ناطقون في مقاطعة البنغال ومع ذلك فلا يوجد في هذه البلاد مبشرون اختصوا بتبشير المسلمين

وانبرى بعد ذلك القسيس (وتبرخت) فتلا تقريره ومما قاله أنه يجدر بالمبشرين اظهار مزيد اللياقة عند ما يحتكون بالمسلمين المتنورين وان ظهور بعض الجهال بمظهر العظمة والفطرسة قد زال الآن وحل محله احترام حسنات المدنية المسيحية؟ وأعمال الدين المسيحي الخيرية(؟) . ثم أوصى المبشرين بالتواضع وقال لهم اذا كان المسلم يبالغ في سؤدد ومجد حضارة بغداد وقرطبة ودرجة ترقي أفكار علماء العرب [illegible] أيضاً ان هذا التاريخ محرف صحائف محدثة ولتذكر أيضاً انه وان

يكن الاسلام بقي دين الشعوب التي هي دونا في المدنية فان أنصاره نجحوا أكثر من المسيحيين بإزالة الحواجز التي تفصل بين الاجناس

ثم جاء بعد ذلك دور المستر رودس التابع لجمعية التبشير في الصين الداخلية وهي الجمعية الوحيدة التي توغلت في الصين وبعد أن تكلم في نسبة المسلمين العددية وأحوالهم الاجتماعية والسياسية تكلم عن أعمال التنصير التي يقوم بها المبشرون فقال : ان أعمال المبشرين كانت حتى الآن في زوايا الاهمال الا أن المجهودات التي بذلها هؤلاء تكللت بالنجاح وأبادت خرافات كثيرة فتوطدت العلاقات بينهم وبين المسلمين واعتنق بعض المسلمين الدين المسيحي ، وهم منهمكون الآن بنشر الانجيل ولكن لم يبلغ مسامعه ان عالما مسلما اعتنق الدين المسيحي ثم أشار بعد ذلك الى الصعوبات التي يلقاها المبشرون في الصين وأهمها ضرورة وجود لغتين للمبشرين اللغة الصينية التي تستعمل مع العامة واللغة العربية لاجل العلماء والطلبة ويوجد هناك عقبة أخرى وهي صعوبة وجود كلمة في اللغة الصينية للدلالة على اسم الجلالة . واختتم تقريره بلفت أنظار المبشرين الى الصين وقال ان النصر ليس حليف الاسلام في الصين الا ان العلماء المسلمين ينكفئون على هذه البلاد من الهند وجزيرة العرب وبلاد الدولة العثمانية لاجل توطيد أركانه هناك وحض الخطيب أعضاء المؤتمر على تعزيز عدد المبشرين الواقفين على اللغة العربية وارسال نساء مبشرات للقيام بالتبشير الطبي وسط النساء الصينيات وطلب تأسيس ارساليات طبية ومستشفيات

ثم ألقى على مسامع المبشرين سؤالا يتعلق بمسلك الحكومات نحو المبشرين ويتضمن البحث عن أحوال المسلمين الموجودين تحت سيطرة المسيحيين أو الذين تحت حكم الوثنيين وقد اتضح من الخوض في هذا الموضوع ان (هولندة) هي الحكومة الوحيدة التي تروج أعمال المبشرين وتستحق رضاهم عليها ، ويظهر أن المانيه أخذت تقتدي بها في مدة قريبة أما انكلترة فهي هدف لانتقاد المبشرين لانهم يزعمون أن المسلمين في مصر يهضمون حقوق الاقباط لان التعليم الديني الاسلامي جبري في المدارس المصرية والحكومة المصرية هي التي تنفق عليه (١)

أما التعليم الديني للتلاميذ الاقباط فاختياري ويتكفل بنفقته المجلس الملي القبطي. وأما في السودان فأعمال المبشرين معرقلة حتى ان كلية غوردون التي أسستها الامة البريطانية أصبحت مدرسة اسلامية محضة والحكومة الانكليزية في نظر المبشرين

(١) اقرأ رسالة « المسلمون والقبط »

ملومة على انتهاجها خطة الحياد وشدها أزر المدارس الاسلامية في مقاطعة (سير اليونه) كما ان ذوي الامر من الانكليز في نيجيريه لا يحسنون معاملة ارساليات التبشير المسيحية ولا يسمحون لهم بفتح المدارس العصرية بكل حرية بينما هم يعضدون المدارس التي تعلم القرآن . وأما الحكومة الفرنسية فتسلك خطة الحذر التي لا تنطوي على الود والاخلاص نحو المبشرين لان علاقاتها معهم في مدغسكر لم تحسن ، وان تكن سمحت لهم بارتياد الجزائر وتونس بدون تعضيد وتخشى أن تحظر عليهم التجول في الصحراء والنيجر وأقاليم بحيرة تشاد أو واداي ، وقد لام المبشرون الحكومة الروسية لتباين أعمالها فقد يتفق في بعض الاوقات انها تروج أعمال المسلمين التي تضر بالمسيحيين التابعين للكنيسة الرسمية الروسية .

أما خطة الحكومات الوثنية نحو المبشرين فتختلف باختلاف طباع ومزايا الحاكم الوثني . وقد قال المبشرون انه مهما بلغ طيش الحاكم الوثني وهمجيته ودرجة اضطهاده فهي لا تبلغ درجة الاضطهادات والاعمال الهائلة التي تخللت تاريخ الاسلام {!} وهم يفضلون ان يكونوا مرتبطين بعلاقات مع الوثنيين المستقلين لانه مهما كانت فائدة حلول الحكومة الغربية محل الحكومة الوثنية فانها تروج تيار الاسلام {!} وتكون عجلة العراقيل في وجه المبشرين من حيث الاعمال التي يقوم هؤلاء بها تجاه المعضلة الاسلامية وقال المبشر (وتسون) ان الواجب الضروري يقضي على المبشرين بالاهتمام بأمر البلاد الوثنية التي يتهددها الاسلام !

الجلسة الختامية لمؤتمر لكهنو

ثم قالت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية انه يتعذر عليها أن توفي البحث حقه عن سائر موضوعات هذا المؤتمر لان هناك كتابا آخر ظهر في عالم المطبوعات وفيه باقي ابحاث المؤتمر ولكنها لم تحصل عليه . وهي تكتفي الآن بذكر بعض أمور تتعلق بالجلسة النهائية للمؤتمر وهي

ألقى الرئيس خطابا يشير فيه الى ارفضاض المؤتمر ثم وزعت على الاعضاء وقائع مكتوب عليها من جهة : « تذكار مؤتمر لكهنوء سنة ١٩١١ » ومن الجهة الاخرى العبارة الآتية : « اللهم يامن يسجد لك العالم الاسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة الى الشعوب الاسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح . »

أما القرارات التي دونها المؤتمر في محضر جلساته فهي كما يأتي :

بعقد المؤتمر مرة أخرى في القاهرة سنة ١٩١٩ واذا طرأت هناك أسباب سياسية أو أمور أخرى تحول دون اجتماعه في هذه المدينة فيعقد حينئذ في لندرة . ومؤتمر لكنهوء يوافق مؤتمر ارساليات التبشير الذي عقد سنة ١٩١٠ على ضرورة بذل المساعي في القارة الافريقية دون أن تمس المساعي التي تبذل في البلاد الباقية .

ولذلك فهو يرى أنه يجدر بالجمعيات التبشيرية أن تكاثف وتضاعف لكي تؤلف سلسلة قوية من ارساليات التبشير تطوف كل أفريقية وتؤسس مراكز قوية في الاماكن التي هي موطن الخطر .

ويجب أن يكون إخراج هذه الفكرة الى حيز الفعل موضع بحث أهم وأوسع مما كان في السابق سواء من حيث تربية المبشرين أو حسن اختيارهم ، الامر الذي يحتم اتخاذ التدابير بلا تأخير لاتمام المشروعات التي يوشر بها .

ويرى المؤتمر أن من الضروري العاجل تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير تكون عامة لكل الفرق البروتستانية . ويشدد بلزوم التدقيق التام في انتقاء المبشرين الاكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية ولزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص مع تاريخ الدين الاسلامي وأهم المؤلفات التي تتعلق به

وأعضاء المؤتمر يدعون اللجنة الدائمة لان تدرس بمزيد الدقة أدوار تقدم الاسلام في أفريقية وجزائر الملايو ليكون بحثها أساساً للمناقشات في المؤتمر المقبل

ولما كان تصير النساء المسلمات مع أولادهن ورفع شأنهن (؟!) يتطلب دخول النساء المسيحيات في العمل فأعضاء المؤتمر يشيرون على ارساليات التبشير بالتشديد على المبشرين والمبشرات بضرورة التحكك بالرجال والنساء عند قيامهم بأعمالهم التبشيرية وأن توسع نطاق الاعمال التبشيرية التي تقوم بها النساء في أفريقية بوجه خاص. وان تعنى بتربية النساء المبشرات

وختم المؤتمر قراراته بتنبيه همة الكنائس التبشيرية لارسال قسم من المبشرين الموجودين لديها ليشدوا أزر المبشرين في أفريقية

التنظيم المادي لارساليات التبشير

انتقلت بعد ذلك مجلة العالم الاسلامي الى البحث في التنظيم المادي لارساليات التبشير البروتستانية الاميركية والانكليزية والالمانية فاستهلت بحثها بوصف جمعية

التبشير الكنيسية الانكليزية وقالت ان هذه الجمعية التي يكثر ذكرها على صفحات هذه المجلة هي أهم جمعية تبشيرية بروتستانية

وقد مضى على تأسيسها ١١٠ سنين ويدير أعمالها ١٤٥ أسقفا ينوبون عن الرئيس وهو أسقف كنتربوري الانكليزي وقد كانت ايراداتها سنة ٧٩٩ خمسة وعشرين ألف فرنك فبلغت سنة ١٩١٠ عشرة ملايين من الفرنكات وهذا غير المبالغ الهامة التي ترد لها وتصرفها في سبيل التبشير من غير تدوين في سجلات صندوق الجمعية

ومن مراجعة التقارير التي نشرتها هذه الجمعية سنة ١٩٠٦ اتضح لنا ان مجموع الاكتتابات والايرادات التي وردت على الجمعية في هذه السنة من البلاد الانكليزية فقط ٢٢٨،٥٢٩ جنيها . وباقت الايرادات الاخرى ١٠٠ الف جنيه وهي مؤلفة من الاكتتابات التي ترد اليها من البلاد الاجنبية ومن المبالغ التي يجمعها المبشرون. وهذا فروع عديدة لجمع النقود لا تقع تحت حصر

ولادارة هذه الجمعية أهمية كبرى تظهر لنا من مراجعة النفقات التي تتكبدها وهي انها أنفقت سنة ١٩٠٦ مبلغ ١٦،٥٨٤ جنيها في سبيل ادارة أمورها ومبلغ ٢٧،٥٨٤ جنيها في سبيل تحصيل الاكتتابات والايرادات . وقد كانت ايرادات هذه الجمعية في السنة الماضية ٤٠٣،٦١٥ جنيها ونفقاتها ٣٩٤،١١٣ جنيها وبلغ ما أنفق على الاعمال التبشيرية ٢٢٥،٠٠٠ جنيه منها ٢٥،٠٠٠ جنيه صرفت للمبشرين الموجودين في غير البلاد الاسلامية . فيكون مجموع ما تنفقه هذه الجمعية كل سنة للتحكك بالاسلام ٧،٥٠٠،٠٠٠ من الفرنكات . وهي موزعة كما يأتي ٢١٥٢١ جنيها لافريقية الشرقية و ٣٣٠٤٨ جنيها لافريقية الغربية و ٦٢٣٤ للتبشير في القطر المصري و ٨٢٢٤٧ جنيها للبلاد العربية والعثمانية والفارسية و ١٢٠٨٤٦ جنيها للهند و ٥١٦١١ للصين

وقد قالت هذه الجمعية في تقريرها عن سنة ١٩١١ ان أعمال التبشير في البلاد الاسلامية ما زالت صعبة وعرضة للنفقات الجسيمة الا أن نتائج أعمالها أخذت تظهر للعيان . وقد قال ان نطاق الاعمال التبشيرية اتسع عن ذي قبل في فارس . أما في مصر فكل المجهودات تبذل في نشر التبشير وتوسيع نطاق التعليم في الارياف وقد كان من شأن السكة الحديدية التي أخذت تجوب شمال نجريا انها مهدت لمبشري هذه الجمعية سبيل تأسيس مراكز تبشيرية في الامكنة الاسلامية . والاسلام

يندفع نحو اقتباس المدنية العصرية وهذه النهضة التي يدبدبها في صدور المسلمون تدعو الى تنافس حقيقي بينهم وبين المبشرين للاستيلاء على المراكز التي يتوخونها ، وقد ظهرت هذه النهضة أيضاً في افريقية الشرقية الالمانية حيث صارت السكك الحديدية منهكة بنقل بضائع المسلمين الى أحشاء البلاد وكذلك الحال في السودان المصري الذي ظهرت فيه حركة اسلامية حقيقية تطرقت الى داخل البلاد ، وتوجد أيضاً في نيجيريا الشمالية بعض اقاليم وثنية على حدود بلاد اسلامية كبيرة وهذه الاقاليم أصبحت عرضة لبحر الاسلام الطامي ، أما في نيجيريا الجنوبية فينتظر حدوث نزاع بين المسلمين والمبشرين من يوم الى آخر ويتفوق المسلمون في أكثر هذه الاقاليم على ارساليات التبشير في المال والنفوذ وبينما كان مسيحيو مدينة (ابا يوكوتا) يخصصون مبلغ ٧٥٠٠٠ فرنك لاجل بناء مدرسة كان مسلمو مدينة (لاغوس) يخصصون ٢٥٠٤٠٠٠ فرنك لبناء مسجد جديد .

وللجمعية أيضاً ارساليات تبشير في مقاطعة (سيراليونه) يرجع عهدها الى سنة ١٨٠٤ فيها ٦٣ مدرسة و٣٩ معهداً يتعلم فيها ٥٠٠ و ٤ طالب . والمسلمون في هذه المقاطعة كثيرون وأغلبهم في داخل البلاد ، وقد كان لمبشري هذه الجمعية القدح المعلى في توسيع نطاق المستعمرات الانكليزية بأواسط افريقية وغربها ، لان المبشرين كانوا يستعينون بالزنوج المتنصرين في ارتياد البلاد وتأسيس مراكز التبشير وتوطيد النفوذ الانكليزي ، وكذلك هي ارساليات التبشير في (لاغوس) و (ابايوكوتا) و (ابادان) و (لوكوجه) ، وحاصل القول ان لهذه الجمعية في هذه الجهات ثلاث أسقفيات وهي في (يوروبا) ونيجيريا الجنوبية ونيجيريا الشمالية ، وفي المقاطعة الاخيرة يجد المبشرون أنهم في بلاد اسلامية محضة ، وفي المقاطعة الاولى والثانية لا يوجد من المسلمين الا التجار وأصحاب القوافل كما هي الحال في لاغوس ، والمعاهد والمدارس التي للجمعية في نيجيريا الشمالية قليلة بالنسبة لغيرها للسبب الذي ذكرناه وهو كثرة وجود المسلمين فيها ، وتقول الجمعية في تقريرها ان تقدم المسلمين في مقاطعة (يوروبا) موجب للقلق الشديد ومما يدل على ذلك أنهم خصصوا ٢٥٠٠٠ فرنك لتشييد مسجد في (أبايوكوتا) كما ان الاسلام ينتشر انتشاراً هائلا في مقاطعة (إيجايو) التي كانت سنة ١٨٩٢ وثنية محضة فأصبحت لا تخلو قرية من قراها من مسجد حتى أن

مدينة (ايجابو أود) لايكاد يخلو شارع فيها من مسجد للمسلمين وقد توطد نفوذ الاسلام في (أود)

والمسلمون أحرزوا في المدة الاخيرة حقوقهم المدنية والحربية التامة في اقامة الصلاة وشعائر الدين الاسلامي مع ان ملك هذه البلاد كان لايطيق ذكر المسلمين وكذلك يزداد عدد المساجد في (يوروبا) القريبة التي تؤسس بجانبها المدارس العديدة لتعليم اللغة العربية ورغما عن كون الاهالي في بعض الجهات مثل مقاطعة (ايبوس) يمتنعون عن الاسلام فان نطاق الاسلام آخذ بالاتساع ففي (اكتسا) مثلا الواقعة في نيجيريا الشمالية لانجد محلا خاليا من المسلمين المسلمين . وآية ذلك أن المسلمين يهبطون القرى الوثنية ويتحكمون بأهلها ولا يمضي ردح من الزمن حتى يستعمل الوثنيون الاسماء الاسلامية ويحملون الآثار الدينية التي يحملها المسلمون ، ثم يتدرجون في الاسلام ، والامر الذي أوجب انتشار الاسلام في (كوتا) هو الازدواج الذي يحصل بين المسلمين والوثنيين ، أما في (يوشي) ففضل انتشار الاسلام عائد الى التجار (الهوسيين) الذين ينشرون الاسلام ويبيعون بضاعتهم في آن واحد وقد استفحل أمر المشكلة الاسلامية في أعين مبشري الجمعية في مقاطعة (يوروبا) لدرجة ان المبشرين هناك يطلبون الذهاب للتبشير بين قبائل (بريبري) الوثنية الغاطسة في (بورنو) والتي تتراوح بين المليون والمليونين من النفوس وقد قال القسيس « أوغنيني » في تقريره عن (يوروبا) انه أراد التحكك ببعض مسلمي (ايلورن) فطلب منه بعضهم تأسيس مدارس وقال له آخرون انهم يأسفون لعدم تمكنهم من قطع رأسه ! وقد ظهر للمبشرين ان نفوذ العناصر الفولانية والبولانية والاسلامية منتشر حتى في الاقاليم الوثنية المحضة .

« يتلى »